جامعة الإسكندرية
ALEXANDRIA
UNIVERSITY

كلية الآداب
قسم الفلسفة
شعبة الفلسفة وتاريخها

الاتجاه الاستطيقيّ في فلسفة توماس ريد

"دراسة تحليلية نقدية"

Aesthetic Attitude in Thomas Reid's Philosophy

" An Analytic Critical Study"

آمال رمضان مصطفى محمود
مدرس مساعد بقسم الفلسفة ـ فلسفة الجمال
كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

الملخص:

قامت هذه الدراسة بالتركيز على جانب من الجوانب المهمة في فلسفة توماس ريد وهو الاتجاه الاستطيقيّ، ولاسيما أنه لم يلق الاهتمام الكافي به، إذا ما قارناه بالاهتمام الذي لقيه فكر الكثير من الفلاسفة المحدثين أمثال لوك، وهيوم، وديكارت، وكانط، وغيرهم. ومن أجل هذا جاءت هذه الدراسة.

وتأتي أهمية توماس ريد في الاستطيقا بناءً على نظرياته في الإدراك الحسيّ، ومذهبه الواقعيّ؛ إذ إن الذوق في معناه الاستطيقيّ هو من المبادئ الأولى التي ينبغي للعقل أن يقبلها وَفْق الإدراك الحسيّ. وموضوعات الذوق عند ريد تشبه الكثير من معاصريه وهي الجدة، والعظمة، والجمال.

Abstract:

This study was done to focus on one of the important aspects in Thomas Reid`s Philosophy, its Aesthetic Attitude, especially that he didn't receive enough attention, if we compare him with the attention that received by the thought of many of the modern philosophers such as: Locke, Hume, Descartes, Kant, and others, this is why this study came.

Reid`s importance to aesthetics depends on his theories of perception and his conceptual realism. Taste in its aesthetic sense is among the first principles that the mind must accept in order to Perception. And the objects of taste of Reid resemble many of his contemporaries namely: Novelty, Grandeur, Beauty.

مقدمة:

إذ كان موضوع بحثنا عن الاتجاه الاستطيقيّ في فلسفة توماس ريد[*]، فجدير بالذكر أن نلقي نظرة مؤجزة على فلسفته؛ ذلك لأن النزعة السائدة في فلسفته نجدها سائدة في اتجاهه الاستطيقيّ، وكذلك نشير إلي الإدراك الجماليّ لديه الذي عن طريقه نصل إلى السمات التي تميز استطيقا ريد.

ثم ننتقل للحديث عن معنى الذوق عند ريد، والاختلاف بين حاسة الذوق والذوق الجماليّ عند ريد موضحين بذلك رأي هيوم في مسألة الذوق، وتوضيح موضوعات الذوق عند ريد المتمثلة في الجدة، والعظمة، والجمال.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على استخدام كُلٍّ من المنهج التحليليّ والمنهج النقديّ.

أما عن الأفكار الاساسية لهذه الدراسة فهي على النحو الآتي:

أولاً– فلسفته.

ثانيًا– الإدراك الجماليّ عند توماس ريد.

ثالثًا– معنى الذوق عند توماس ريد.

رابعًا– موضوعات الذوق:

---

[*] – توماس ريد Thomas Reid: (١٧١٠– ١٧٩٦م) هو فيلسوف إسكتلنديّ ، ومؤسس مدرسة الحس المشترك للفلسفة الإسكتلندية. درس في جامعات أبردين، وجلاسجو. وقد نشر ثلاثة أعمال رئيسة، وهي: "بحث في العقل الإنسانيّ عن مبادئ الحس المشترك" ١٧٦٤م "، وقد ألقى "محاضراته عن الفنون الجميلة" عام ١٧٧٤م، وتخلى عن تدريسه في عام ١٧٨٠م، لكتابة "مقالات في قوى الإنسان العقلية" عام ١٧٨٥م Intellectual Powers of Man ، و "مقالات في قوى الإنسان الفاعلة"عام ١٧٨٨م "Active Powers of Man.

CP: – Dabney Townsend: The A to Z of Aesthetics, The Scarecrow Press, INC, Lanham. Toronto, Plymouth. UK, 2006, P.265.

– Michael Kelly: Encyclopedia of Aesthetics, Second edition, Vol.5, Oxford University Press, New York, 2014, P.344.

(أ) الجدة Novelty.

(ب) العظمة Grandeur.

(ج) الجمال Beauty.

خامسًا– الخاتمة.

أولاً- فلسفته:

قد تأثر ريد منذ حداثته بالمذهب الشكيّ لهيوم [*] من دون أن يضع في اعتباره النتائج المترتبة على هذا المذهب، كما أنه انحاز إلى حد ما لأفكار بركليّ[**] ومذهبه. لأنه لم يتوصل إلي أسباب مقنعة لينكر وجود المادة وليؤكد أن الأفكار هي الموضوع الوحيد للمعرفة. فقد تخلى عن ذلك الاعتقاد، فعارض شكية الأول ومثالية الثاني.[1]

ومن ثمَّ يأتي التساؤل عن سبب تغيير ريد موقفه، بمعنى أنه إذا كان يقول بنظرية الأفكار، فما السبب في رفضها بعد ذلك؟.

---

* – ديفيد هيوم David Hume: (١٧١١– ١٧٧٦م) هو فيلسوف ومؤرخ إنجليزيّ. وأهم مؤلفاته "بحث في الطبيعة البشرية". وامتاز بنزعته الحسية بصدد نظرية المعرفة وذلك واضح عن طريق قوله بأن كل إدراكات العقل الانساني ترجع إلى الانطباعات Impressions، والأفكار Ideas. راجع: عبد الرحمن بدويّ: موسوعة الفلسفة، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٤م، ص ص٦١١– ٦١٤.

** – جورج بركليّ George Berkeley: (١٦٨٥– ١٧٥٣م) هو الفيلسوف الأيرلنديّ، وواحد من كبار التجريبين مع كلاً من لوك، وهيوم. وقد تميز بمؤلفه "مبادئ المعرفة الانسانية" عام ١٧١٠م.
CP: Robert Audi: The Cambridge Dictionary of Philosophy, Second edition, Cambridge University Press, New York, 1999, P.83.

1 - جورج طرابيشيّ: معجم الفلاسفة (الفلاسفة– المناطقة– المتكلمون– اللاهوتيون– المتصوفون)، دار الطليعة للطباعة والنشر، طبعة ثالثة مفهرسة، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٣٣٦.

عارض ريد تجريبية كلاً من لوك وهيوم؛ ذلك لأنها أدت إلى استنتاجات متناقضة مع الحس المشترك [***]. وقد أثرت مدرسة الحس المشترك في أوائل القرن التاسع عشر، وأثرت في الفلاسفة أمثال بيرس[****].[1]

قد رفض ريد اعتبار نظرية الأفكار مجرد أشياء عقلية مركبة وحجته في ذلك هو أننا إذا كنا نعرف الأفكار بالعقل فقط فلا يمكننا معرفة شيء من العالم؛ ومن ثم فإن العقل يدرك الأشياء مباشرة عن طريق الإدراك الحسيّ[*]؛ إذ إن العقل أيضًا يدرك نفسه مباشرة بوصفه ذاتًا فردية، كما أنه يعرف الأشياء الأخلاقية والجمالية بالإدراك الحسيّ، وعلى الرغم من ذلك فإن نظرية الإدراك الحسيّ عند توماس ريد معقدة؛ إذ إن الإدراك الحسيّ لا يرادف الاحساس أو الشعور **Sensation**، بل هو مزيج من المفاهيم والمعتقدات المطبقة على الإحساس؛ ومن ثمَّ فإن العقل هو الحقيقة الفاعلة.[2]

*** – الحس المشترك أو الإدراك الفطريّ **Common Sense**: هو مصطلح لتوماس ريد؛ إذ إنه عرف الإدراك بأنه مجموعة الأحاسيس والتصورات والاعتقادات؛ إذ إنه قال إننا نحس الكيفيات ثم نتصور الأشياء ونعتقد بوجودها. فنحن لا نتعلم ما تعينه الأحاسيس بل نترجمها تلقائيًا، وهذه الترجمة هي الإدراك الفطريّ أو الإدراك الأصليّ.

راجع: عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبوليّ، ط٣، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣٧.

**** - تشارلز بيرس **Charles Peirce**: (١٨٣٩– ١٩١٤م) هو فيلسوف أمريكيّ، درس الفلسفة في جامعة هارفارد. ومن مؤلفاته: "دراسات في المنطق" عام ١٨٨٣م، و "ما الذرائعية" عام ١٩٠٥م، وغيرها من المؤلفات. راجع: جورج طرابيشيّ: معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص ص ٢٢٠– ٢٢١.

[1] – **Douglas J. Herrmann & Roger Chaffin (editors): Memory in Historical Perspective, Springer– Verlag, New York, 1988, P.178.**

* – الإدراك الحسيّ **Perception**: هو حصول الصورة عند النفس الناطقة، فهو إحاطة الشيء بكماله. ويذكر ريد أن العقل في حالة الإدراك يشعر شعورًا مباشرًا بالوجود الخارجيّ. راجع: مراد وهبة: المعجم الفلسفيّ، دار الثقافة الجديدة، ط٣، القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٣.

[2] - **Dabney Townsend: The A to Z of Aesthetics, OP . Cit, P.265.**

ويوضح ريد أن قوى العقل كثيرة ومتنوعة ومعقدة في معظم عملياتها، بحيث لم يجد أي تقسيم لهذه القوى إلا وكان عرضة لاعتراضات كثيرة. ولذلك يأخذ ريد التقسيم العام الأكثر شيوعًا الذي يقسم قوى العقل إلي قوى الفهم، وقوى الإرادة. وعن طريق الإرادة نحن نفهم قوانا الفاعلة، وكل ما يؤدي إلي الفعل، في حين يدرك الفهم قوانا التأملية التي ندرك عن طريقها الأشياء التي نتصورها أو نتذكرها، والتي نقوم بتحليلها أو تجميعها، والتي نحكم بها ونفكر فيها.[١]

ونتيجة لذلك فإن فهم ما يعينه ريد بالإدراك الأخلاقيّ **Moral Perception** ليس بالأمر السهل، فكثيرًا ما يوضح ريد التماثل والتشابه بين الإدراك الحسيّ الخارجيّ (عن طريق الشم والذوق والسمع واللمس والبصر) وبين الإدراك الحسيّ الداخليّ للذوق والأخلاق.[٢]

هذا عن الإدراك الحسيّ، أما عن المنهج الذي تبناه ريد فهو منهج الملاحظة والتحليل وذلك المنهج قد تبنته أيضًا المدرسة الإسكتلندية أو مدرسة الحس المشترك التي هو مؤسسها؛ إذ إن معرفة الذهن تعني لديه ملاحظة مختلف الملكات المكونة للإنسان وتحليلها من حيث كونه موجودًا عاقلاً فاعلاً اجتماعيًا وأخلاقيًا. كما أنه يرى أن الاحساس والإدراك هما الفعلان الأوليان للمعرفة الإنسانية اللذان يتيحان لنا معرفة الصفات الأولية والثانوية للأشياء. فليست الأفكار بل الاشياء هي الموضوع المباشر لذهننا.[٣]

---

[1] - **Thomas Reid**: **Essays on the Powers of the Human Mind**, **Printed by**: **Thomas Davison & Whitefriars**, **London**, **1827**, **P. 32**.

[2] – **Esther R. Kroeker**: "**Reid on Natural Signs**, **Taste and Moral Perception**", **In**: **Reid on Ethics**, **edited by**: **Sabine Roeser**, **Palgrave Macmillan**, **New York**, **2010**, **P.46**.

[3] - جورج طرابيشيّ: معجم الفلاسفة (الفلاسفة– المناطقة– المتكلمون– اللاهوتيون– المتصوفون)، مرجع سابق، ص٣٣٦.

ونستنتج من هذا العرض المؤجز لفلسفته أن النزعة السائدة في فلسفته هي النزعة الحسية وذلك لقوله بالإدراك الحسيّ، وقوله أيضًا بأن الأشياء هي الموضوع الذي يدركه الذهن مباشرة. وبناء على ذلك فكان من الأهمية بمكان توضيح فلسفته في البداءة؛ ذلك لأنها تنعكس على اتجاهه الاستطيقيّ؛ لأن الاستطيقا في أصلها الاشتقاقيّ تعني الإدراك الحسيّ.

ثانيًا- الإدراك الجماليّ عند توماس ريد Aesthetic Perception:

وهنا نتساءل عن أهمية نظريته في الإدراك الحسيّ بالنسبة لاتجاهه الاستطيقيّ؟

حين تناولنا الإدراك الجماليّ عند ريد نجد التركيز نفسه على وجود الصفات الموضوعية التي نجدها في النظرية العامة للادراك. ونجد التقسيم نفسه للعملية الإدراكية المتمثلة في الإحساس والحكم. ففي إدراكنا الجمال لا نجد الإحساس بالمتعة فقط ولكن أيضًا الحكم الحقيقيّ فيما يتعلق بامتياز الموضوع؛ إذ إن التميز سمة للموضوع. فهناك اختلاف بين الصفة الموجودة في الموضوع الذي يسعدنا والإحساس بالمتعة نفسه".[1]

وهذا يعبر عن مضمون العملية الإدراكية، ففي البداية يحدث الإحساس بالجمال في نفس المتذوق، والشعور بالمتعة، ثم يأتي بعد ذلك الحكم المتعلق بامتياز الموضوع.

كما أن الفنون الجميلة نفسها هي نتاج لغة الطبيعة المتأصلة فينا، ولذلك فإن نظرية ريد عن الذوق والفنون تعتمد على نظريته في العلامات الطبيعية والاصطناعية، فالأولى نحن نعلمها بالفطرة، ولكن الأخرى تشمل اللغة ونتعلمها عن طريق الخبرة والتجربة. ونجد أن موضوعات الذوق عند ريد تشبه الكثير من معاصريه وهي تشمل: الجدة **Novelty**،

---

[1] - **Peter Kivy**: **Thomas Reid`s Lectures on the Fine Arts "Transcribed from the Original Manuscript, with An Introduction and Notes", Martinus Nijhoff, the Hague, 1973, P.6.**

والعظمة Grandeur، والجمال Beauty، ويحددهم بين المبادئ الطبيعية الأولى للعقل.[1]

والسؤال الآن: ما السمات التي تميز إستطيقا ريد؟.

(١) السمة الأكثر أهمية في إستطيقا ريد، هي قوله إن الأشياء الجميلة أو الجليلة يجب أن تعبر عن بعض ملامح الكمال الحقيقيّ. وهنا يرتبط مع علماء الجمال التجريبيين "في رد كل شيء إلى الشعور"، وبذلك يعد الجمال شعورًا في أذهاننا بدلاً من كونه خاصية للأشياء. فعلى سبيل المثال يعرف هاتشيون[*] الجمال بما هو محسوس بوصفه "فكرة مثارة فينا".

(٢) وجود معايير مشتركة لتسويغ المطالبة بالذوق، وتستند هذه المعايير إلي الكمال الموضوعيّ.

(٣) وجود أنواع مختلفة من الجمال والجلال (على سبيل المثال: الطبيعيّ أو الفنيّ) التي يجب تحليلها بطرق مختلفة. [2]

ويتعلق مجال الاستطيقا عند ريد بطبيعة التقييم الجماليّ، ومضمون الأحكام الجمالية، وما تمتاز به الأشياء الجميلة من الامتياز الحقيقيّ والعلاقة بين هذا التميز

---

[1] - Dabney Townsend: The A to Z of Aesthetics, OP.Cit, PP.265– 266.

[*] – فرنسيس هاتشيون Francis Hutcheson: (١٦٩٤– ١٧٤٦م) هو فيلسوف الجمال والأخلاق الإسكتلنديّ، وأستاذ في جامعة جلاسكو، والممثل الرئيس لمدرسة الحس الأخلاقيّ Moral sense. ومن مؤلفاته "بحث في أصل أفكارنا عن الجمال والفضيلة"، وقد استمد هاتشيون طريقته في الإدراك الجماليّ من لوك. ويرى أن الجمال هو تلك الفكرة المثارة فينا، فالشعور بالجمال هو قوتنا لتلقي هذه الفكرة.

CP: Peter Kivy: "Hutcheson, Francis", in: A companion to Aesthetics, edited by: David E. Cooper, Advistory editors, Joseph Margolis & Chrisin Start well, Blac,kwell publishers, oxford , 1992, PP.203– 204.

[2] - Michael Kelly: Encyclopedia of Aesthetics, OP . Cit, P.345.

والجمال. ومسألة الذوق ويناقش فيها ما إذ كان هناك تشابه بين معنى الذوق المتمثل في حاسة الذوق نفسها والذوق الجماليّ الذي هو موضع البحث هنا، وما إذا كان الذوق خاضعًا للقواعد أم لا، فعلى الرغم من قبول ريد وجود مبادئ أولى للذوق يتفق فيها مع جيرارد، فإننا نجده يرى أن الذوق يخضع لقواعد لا يتبعها، وهذا الموقف نجده مباشرة في نقيضة الذوق لكانط، وكذلك أيضًا نوضح الصعوبات التي نواجهها في إيجاد معنى محدد للجميل، وهذه الصعوبات ناتجة من وجود أنواع عديدة من الأشياء توصف بالجمال.[١]

والسؤال الآن: ما الصفات الجمالية؟، وإلي أي فئة تنتمي إلى الصفات الأولية أم الثانوية؟ ويوضح لنا ريد أن الصفات الأولية هي تلك الصفات التي لدينا بها معرفة واضحة ومتميزة، في حين أن الصفات الثانوية هي التي لا نعرف طبيعتها. ويختار ريد هنا مجال الصفات الثانوية وغير المعروفة للتعبير عن الصفات الجمالية؛ ذلك لأن الجمال كما يقول الفرنسيون "لا يزال لغزًا".[٢]

ولكن كيف يصير الجمال لغزًا؟ ونجد أنه يصير لغزًا حينما لا نعرف طبيعته فيندرج تحت الصفات الثانوية؛ ذلك لاختلاف الآراء بصدد الجمال فلا ندرك طبيعة ثابتة يتفق عليها الجميع، ونتيجة لذلك فإنه لايزال لغزًا وذلك لتعدد الآراء حوله.

ففي الأشياء الجميلة قد نشعر بالجمال أو القبول؛ ومن ثم فيكون الحكم عليها بسبب بعض الكمال، فالجمال يعني دائمًا التميز ولكن ربما نكون غير قادرين على تحديد مما يتكون ذلك الجمال؟ وباختصار فإن مفهوم ريد عن الإدراك الجماليّ هو إحساس بالمتعة يرافقه حكم مؤداه أن سمة "التميز الحقيقيّ" لا تزال طبيعتها غير معروفة.[٣]

---

1 – Roger D. Gallie: Thomas Reid: Ethics, Aesthetics and the Anatomy of the Self, Published by: Kluwer Academic Publishers, Springer, 1998, P.145.

2 - Peter Kivy: Thomas Reid`s Lectures on the fine Arts, OP . Cit P.8.

3 - Ibid, P.9.

لكن نتساءل هنا: هل كان الحكم الجماليّ عند ريد ذو نزعة حسية أكثر من كونها عقلانية؟ لا يمكن أن نجيب عن هذا السؤال بالإيجاب أو السلب؛ لأنه يجب أن نتذكر عند تصنيف ملكة الذوق عند ريد ضمن الإدراك الحسيّ، أن مفهوم الإدراك لديه عامة يشمل عنصرًا عقلانيًا. وقد صنف ريد ملكة الذوق "الشعور" والفكر في الحكم الجماليّ بوصفها نوعًا من الإدراك الحسيّ، ولكنه كان يعتقد أيضًا أنه إلى جانب الإحساس فإن الحكم الجماليّ متضمن في تصورات كل فرد منا، أي أن هذا الحكم متضمن في كل عملية ذوق. وما يحاول ريد القيام به إذن والذي يُعَدَّ من أهم اسهاماته للنظرية الجمالية في عصر التنوير **Enlightenment** هو التقارب بين الطرفين الأكثر جدلاً. [١]

معنى ذلك أنه لا يمكننا تصنيف ريد بأنه ذو نزعة حسية فقط، وإن كانت تلك النزعة هي المسيطرة على فكره؛ ذلك لأنه كان يجمع بين النزعتين: الحسية، والعقلية معًا.

ثالثًا- معنى الذوق عند توماس ريد:

وإذا كانت تواجهنا مشكلة بصدد المصطلحات ذات المعنى الواسع مثل الذوق الذي يتمثل في كلٍّ من حاسة الذوق، والذوق الجماليّ، فإننا نتحدث عن موقف ريد بصدد الذوق، ورأي هيوم بشأن الذوق.

وقبل أن نوضح ذلك نتساءل في البداية: أتعد دراسة الجمال دراسة نفسية للإبداع والعبقرية في الفن، أم أنها دراسة نفسية للتذوق والحكم الجماليّ؟. ويرد علماء الجمال على ذلك بأن الدراسة الجمالية تتضمن الناحيتين معًا. فمن ناحية الفنان نجده يبدع الأثر الفنيّ، ثم يقف منه موقف المتذوق له ومصدر الحكم عليه. أما من ناحية المتذوق فإنه يصدر حكمه على العمل الفنيّ، ويضع نفسه موضع الفنان الذي أبدعه. [٢]

---

[1] - **Ibid**, **P**.9.

[2] - محمد عليّ أبو ريان: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٩م، ص١١٣.

ومعنى ذلك أن كل منا يقف موقف المتذوق المستمتع بالعمل الفنيّ وموقف المقيم له. ويتساوى في ذلك كل من الفنان والشخص العاديّ. فكلٌّ من التذوق الجماليّ والحكم الجماليّ مترابطون.

ويعرف ريد الذوق في مجال الإستطيقا بأنه قوة العقل التي نكون قادرين بها على إدراك جمال الطبيعة والاستمتاع بها، وكل ما هو متميز ومبدع في الفنون الجميلة. في حين أن المعنى الخارجيّ للذوق: هو الذي نميز ونتذوق به أنواع الطعام المختلفة، وهذا يعطينا الفرصة إلى التطبيق المجازي لكلمة الذوق لتلك القوة الداخلية للعقل، التي ندرك بها ما هو جميل وما هو قبيح في الأشياء المختلفة التي نتأملها. وذلك يشبه حاسة الذوق التي يستمتع عن طريقها الشخص ببعض الأشياء ويشمئز من أشياء أخرى؛ ومن ثم فإن هذه التشابهات الواضحة بين الذوق الخارجيّ external taste والذوق الداخليّ internal taste قد أدت بالناس في جميع العصور وفي مختلف اللغات إلى إعطاء اسم الذوق بالمعنى الخارجيّ لتلك القوة التي تربط ما هو جميل مع المتعة، وما هو قبيح أو معيب من نوعه مع الشعور بالاشمئزاز. (١)

معنى ذلك أنه يوجد نوعان من الذوق، فكلٌّ منا يعرف حاسة الذوق التي نتذوق بها أنواع الطعام المختلفة وهذه الحاسة تعبر عن المعنى الخارجيّ للذوق؛ ذلك لأنها حاسة خارجية تتمثل في الفم الذي نتذوق به الطعام، أما المعنى الآخر للذوق فهو ما يقصده ريد في بحثنا هذا وهو ما يهمنا في مجال الاستطيقا، وهو الذوق الجماليّ وهذا هو المعنى الداخليّ للذوق، المتضمن في عقل كل شخص، فالإنسان يستطيع أن يميز بعقله بين ما هو جميل وما هو قبيح.

---

[1]- Thomas Reid: Philosophical Works "With notes and Supplementary dissertations by Sir William Hamilton", Vol.1, With an Introduction by Harry M. Bracken, Georg Olms Verlag, Hildesheim. Zurich. New York, 1983, P.490.

إذ نجد أن حواسنا الخارجية external senses تظهر لنا فكرة اللون، والشكل، والصوت، وصفات الجسم الأخرى. في حين أن الاحساس الداخليّ Internal sense يمثل الوعي أو الشعور؛ لأنه يتمثل في التفكير والذاكرة وعمليات أخرى من عقولنا. [١]

ويوضح هيوم في مقالته عن "معيار الذوق" Of the Standard of taste: وجود الكثير من المشاعر المختلفة التي يثيرها الموضوع الواحد، وكلها على صواب؛ لأن هذه المشاعر لا تمثل سوى علامات معينة تدل على المطابقة بين الموضوع المدرك وملكات العقل، فإذا لم يكن هذا التطابق قائمًا بالفعل، فلا توجد هذه المشاعر أبدًا؛ ذلك لأن الجمال ليس صفة في الأشياء نفسها، بل إنه موجود فقط في العقل، فعقل كل إنسان يدرك الجمال بصورة مختلفة. فنجد شخصًا يدركه مشوهًا، وأخر يدركه جميلاً. ولذلك فإن البحث عن الجمال الحقيقيّ أو التشوه الحقيقيّ هو أمر عقيم، كما هو الحال عند التأكد من الحلو الحقيقيّ أو المر الحقيقيّ؛ ذلك لأن الشيء نفسه قد يكون على حد سواء حلو ومر؛ ومن ثم فلا جدوى من الخلاف بشأن الأذواق.[٢]

ويوضح ريد في بحثه عن القوى العقلية أننا نشعر وندرك مظاهر الكمال والتميز الحقيقية في الأشياء الجميلة على نحو متفاوت، ففي بعض الأشياء ندرك هذه المظاهر بوضوح وهذا يشير إلى السمات الأولية للأشياء، ولكن بعض الأشياء الأخرى لا نكون قادرين على تحديد هذه المظاهر بسهولة لكي تبرر حكمنا بالجمال، وهذا يشير إلى السمات الثانوية للأشياء لما فيها من غموض، وهذه الأحكام تبدو أشبه بأحكام الذوق الخارجيّ. [٣]

---

[1] - Thomas Reid: Essays on the Powers of the Human Mind, OP. Cit, P.270.

[2] – Roger D. Gallie: Thomas Reid: Ethics, Aesthetics and the Anatomy of the Self, OP. Cit, P.146.

[3] – Roger D. Gallie: Thomas Reid: Ethics, Aesthetics and the Anatomy of the Self, P.148 .

فحينما ندرك موضوعًا جميلاً يجب أن نميز بين الانفعال المقبول الناتج فينا وسمة الموضوع التي تسبب فينا هذا الانفعال، كما هو في حاسة الذوق يجب أن نميز بين الإحساس المقبول فينا والشيء ذو الطعم اللذيذ الذي يرضي حاسة ذوقنا. فعلى سبيل المثال: حين سماع لحن موسيقي والاستمتاع به فأقول عنه إنه جميل ومتميز. ولكن هذا التميز في الموسيقى ليس لي بل في اللحن نفسه، في حين أن المتعة التي يعطيها اللحن ليس في الموسيقى بل موجودة فينا. فكان ريد يطابق جمال الموضوع مع تميزه.[1]

وإذ قام ريد بالتمييز بين معنيين ونوعين من الذوق، فإننا نجده يميز مرة أخرى بين الإحساس الذي يحدث فينا من إدراكنا أو استمتاعنا بالشيء الجميل وبين السمة التي يمتاز بها هذا الشيء، فنحن نصف الشيء بالتميز والتفرد، ولكن هذا التميز والتفرد ليس داخليًا بل إنه سمة يمتاز بها الشيء، إذ إننا نشعر بالمتعة فقط.

رابعًا- موضوعات الذوق:

موضوعات الذوق هي صفات الأشياء التي تتكيف بطبيعتها؛ لإرضاء الذوق الجيد. وقد وضح ريد أن هذه الصفات ثلاثة، وهي: الجدة، والعظمة، والجمال. وهذا التقسيم بالنسبة إلى توماس ريد يعبر بصورة واضحة عن كل ما ينوي قوله في هذا الموضوع.[2]

(أ)- الجدة Novelty:

ونجد أن صفة الجدة غير مألوف الحديث عنها عند غيره من الفلاسفة، فالكثير من الفلاسفة وعلماء الجمال تحدثوا عن صفة الجمال، والعظمة، والجلال، في حين أننا نادرًا ما نجد من يحدثنا عن صفة الجدة.

ويرى ريد أن الجدة ليست خاصية للشيء الذي نشير إليه على نحو دقيق، بل إنها أقل بكثير، فهي ذلك الإحساس في العقل بأن هذا الشيء جديد، وهي علاقة الشيء بمعرفة الشخص؛ لأن ما هو جديد بالنسبة إلى شخص، قد لا يكون كذلك بالنسبة إلى

---

1 – Ibid,, P.148 .

2 – Thomas Reid: Philosophical Works, OP . Cit, P.493.

شخص آخر، وما هو جديد في هذه اللحظة قد يكون مألوفًا لنفس الشخص بعد وقت قليل؛ ومن ثم فإنها حضور الموضوع لأول مرة لمعرفتنا، سواء أكان ذلك مقبولاً أم لم يكن. ولذلك فإن الجدة ليست مجرد إحساس في الذهن بأن هذا الشيء جديد. بل هو علاقة الشيء الحقيقية بمعرفة الشخص في ذلك الوقت.[١]

ووجد ريد أن المتعة التي نتلقاها من الموضوعات الجديدة لها تأثير كبير في الحياة البشرية؛ ذلك لأن حب الفضول عادة أقوى في الاطفال وفي الشباب؛ ومن ثمّ فإن ما هو جديد يكون أكثر إرضاءً لهم. بالإضافة إلى أن الجدة تشبع حب الفضول في جميع الأعمار، ولذلك فتأثير القوى العقلية يكون أقوى في حضور الموضوعات الجديدة.[٢]

وتعد الجدة على عكس الجمال؛ ذلك لأن ما هو جديد يشعرنا بالمتعة، وإن لم يكن الشيء جديدًا فلا يشعرنا بالمتعة؛ لأن الجدة هي ما تثير اهتمامنا وتثير ملكاتنا العقلية، وتستمد قيمتها من المنفعة؛ ومن ثم فإنها ذات أهمية ثانوية في مجال الاستطيقا. [٣]

ولذلك يلحظ ريد أن الصفات التي ترضي الذوق ليست أكثر اختلافًا في حد ذاتها من العواطف والمشاعر التي تؤثر في عقولنا. فإذا كانت الأشياء الجديدة وغير الشائعة تؤثر فينا عن طريق الشعور بالمفأجاة التي تثير وتقوي انتباهنا إلي الموضوع، فإن ذلك الشعور سرعان ما يختفي، حينما نجعل صفة الجدة لها طابع الاستمرار فإنها لا تترك أي تأثير في العقل. [٤]

وترى الباحثة أن السبب في كون الجدة ذات أهمية ثانوية وليست أولية، هي أنها تستمد قيمتها من المنفعة، فإذا أنعدمت هذه المنفعة فلا يكون لهذا الشيء أهمية؛ إذ نتساءل عن التقدير الجماليّ للشيء الذي يقدر الموضوع بغض النظر عن منفعته، وكذلك

---

[1] – Thomas Reid: Philosophical Works, OP . Cit, P.493.

[2] – Ibid, PP.493– 494.

[3] – Keith Lehrer: Thomas Reid, Routledge, London & New York, 1991, P.181.

[4] – Thomas Reid: Philosophical Works, OP . Cit, P.494.

الشعور الناتج عن صفة الجدة سرعان ما يزول وذلك لشعوري أن هذا الشيء أصبح معتادًا ومألوفًا بالنسبة إليّ، وهذا عكس تقييميّ للوحة فنية معينة أو مقطوعة موسيقية.

(ب)- العظمة Grandeur:

وينتقل ريد إلي صفة أخرى وهي صفة العظمة؛ إذ يرى أن الموضوعات التي لها صفة العظمة تثير فينا الشعور بالرهبة، ومن أمثلتها الموجود الأعلى، فهو الأعظم وله الخلود، وقوته لا تقاوم، ومعرفته لانهائية، وحكمته مطلقة، وعدالته غير متغيرة، وسلطته عليا، وينظم كل حركات هذا الكون الشاسع إلى أنبل الغايات وبطريقة حكيمة، ومثل هذه الموضوعات تشبع القدرة القصوى للنفس وتصل بها إلى ما هو أبعد من الفهم. (١)

فالعظمة أكثر أهمية من الجدة، كما أنها شيء مختلف عنها؛ إذ إن العظمة هي سمة حقيقية للموضوع، وحينما تكون الموضوعات التي تتصف بالعظمة مألوفة لنا فإنها تكون موضوعات طبيعية للتقدير والتبجيل، ولكن حينما تكون في درجة غير مألوفة لنا فتصبح موضوعات للإعجاب؛ لما لها من قيمة جوهرية لنا. (٢)

وبذلك فإن صفة العظمة أكثر أهمية من الجدة؛ ذلك لأن طابع الجدة يمتاز بالتغير في حين أن الموضوعات التي تتصف بالعظمة لا تتغير قيمتها.

(جـ)- الجمال Beauty:

يرى توماس ريد أن الجمال يوجد في أشياء كثيرة مختلفة، فيوجد في الطبيعة، وفي الموضوعات الحسية المختلفة؛ إذ نجد الجمال في اللون، وفي الصوت، وفي الشكل، وفي الحركة، وفي الكلام، وفي الفكر، وفي الفنون، وفي العلوم، وفي الأفعال، وفي العواطف، وفي الأشخاص، وبذلك نجده في أشياء مختلفة وهذا على عكس أي خاصية أخرى. ويوضح لنا ريد أن الأشياء التي نصفها بالجمال تتفق في أمرين: الأول– هي تلك

---

1 – Thomas Reid: Philosophical Works, OP . Cit, P.494.

2 – Keith Lehrer: Thomas Reid, OP . Cit, P.181.

الأشياء التي حينما ندركها أو حتى نتخيلها ينتج شعور مقبول في العقل. والثاني– هذا الشعور المقبول يرتبط بوجود بعض جوانب الكمال أو الامتياز الذي ينتمون إليه.[١]

ويقول ريد بوجود أنواع مختلفة من الجمال، بسبب اختلاف الموضوعات التي نصفها بالجمال، فلا يبدو أن هناك تطابقًا ولا حتى تشابه بين جمال النظرية أو القضية وجمال مقطوعة موسيقية، على الرغم من أن كلا منهما يوصف بالجمال. ومن ثم يكون السؤال: لماذا نصف الأشياء المختلفة تمامًا بالصفة نفسها؟ يجيب ريد عن ذلك بقوله: ***"ربما نجد شيئًا شائعًا في تلك الأشياء نفسها؛ إذ يجب أن يكون لها علاقة مشتركة بالنسبة إلينا، الأمر الذي يقودنا إلي منحهم الاسم نفسه"***. [٢]

حقًا إن الجمال يوجد في موضوعات كثيرة ومختلفة، وخير دليل على ذلك أن الجمال ليس نوع واحد، بل نجد الجمال الطبيعيّ والجمال الفنيّ، إذ إن جمال الطبيعة نراه في مظاهر الطبيعة المختلفة الأزهار والشجر وغير ذلك، ولكن الجمال الفنيّ هو صياغة جمال الطبيعة في لوحات أو مقطوعات موسيقية، فكلمة جمال معناها واسع ولا يمكن حصر الموضوعات التي يمكن وصفها بالجمال.

فالعاطفة التي تنتجها الأشياء الجميلة هي المتعة، أنها تسعد الإنسان وتعمل على تهدئة الآلام وانفعالات الغضب. إنها تنشط العقل وتجعله مفعم بالحيوية، وتدفعه نحو مشاعر أخرى ممتعة وإيجابية مثل الحب، والأمل، والسعادة، فتعطي قيمة للموضوع المجرد تمامًا من المنفعة. ومع ذلك فإننا في كثير من الأشياء التي نمتلكها ننسب الجمال إلي قيمتها، على سبيل المثال الحصان الجميل، والسيارة الجميلة ، والمنزل الجميل، والصورة الجميلة، والمنظر الجميل. هذه الأشياء كلها يقدرها من يملكها والأخرين، ولكن ليس فقط لمنفعتها، بل لجمالها. وإذا كان الموضوع الجميل هو شخص، فإن الحديث معه يكون أكثر قبولاً، ويدفعنا هذا إلى محبته وتقديره. [٣]

---

[1] – **Thomas Reid: Philosophical Works, OP . Cit, P.498.**

[2] – **Ibid, P.498.**

[3] – **Ibid, PP.498– 499.**

وبسبب أهمية الجمال يرى أديسون أنه: ***"لا يوجد شيء يتجه إلى النفس مباشرة أكثر من الجمال، الذي ينتج الشعور بالارتياح والرضا عن طريق الخيال؛ إذ إنه يحدث متعة عميقة في العقل وينشر البهجة والمتعة في جميع ملكاته"***. ويرى ريد أننا كما ننسب الجمال إلى الأشخاص والجمادات، فإننا نضيف الحب على كل الموضوعات الجميلة، إلا أنه من الواضح أن ذلك الحب بالنسبة إلى الأشخاص هو عاطفة مختلفة تمامًا بالنسبة إلى العقل عن ذلك الحب بالنسبة إلى الجمادات. فالأول يعني الثناء، ولكن الجماد لا يكون موضوع للثناء. فنجد أن كلاً من النوعين على الرغم من اختلافهما، فإنهم يتشابهان في بعض الجوانب. ونتيجة هذا التشابه فإن لهم الصفة نفسها.[١]

ونتساءل عامة: ما أهمية الجمال في حياتنا؟، هذا السؤال يقودنا إلى سؤال آخر، هل يمكن لنا أن نتصور الحياة من دون جمال؟، إن الحياة ستكون مملة بغير جمال، ودليل ذلك أننا إذا تصورنا الأرض لا تنتج عشبًا أخضر، أو شجر، أو أن السماء كانت رمادية اللون دائمًا، أو أن كل الوجوه الإنسانية صورة مكررة من دون تغير، وأن الموسيقى انعدمت، وكل الأصوات انعدمت فيها الرقة. في هذه الحالة هل سيكون للحياة معنى؟ بالطبع ستكون الإجابة بالنفي؛ إذ سيكون نتيجة هذا أن يلجأ الإنسان إلي الإدمان على الخمر أو الانغماس في الجريمة فتسود النظرة السوداوية، ومن ثم يمكننا القول إنَّ الدافع للتجميل نجده في سلوك كل شخص متمدن.[٢]

ما السمات التي ينطوي عليها تصورنا للصفات الجمالية؟ يعتقد ريد –عامة– أن الصفات الجمالية يمكن أن تكون مشتقة أو أصلية. ويشير ريد إلى أن: الجمال يكمن أصلاً في الكمالات الأخلاقية والعقلانية وفي قواها الفاعلة، في حين أن كل احساس خارجيّ للجمال ندركه في العالم المرئيّ هو مشتق. ومع ذلك يمكن إدراك الجمال الكامن في

---

[1] – Thomas Reid: Philosophical Works, OP . Cit, P.499.

[2] – محمود البسيوني: الفن والتربية "الأسس السيكلوجية لفهم الفن وأصول تدريسه"، دار المعارف، الطبعة الثالثة مزيدة، القاهرة، ١٩٨٤، ص ص١٤– ١٥.

العقل، على الرغم من أنه غير مرئيّ في ذاته، وذلك عن طريق الاشياء المحسوسة التي تبهرنا بصورتها وندركها بسهولة عن طريق حواسنا.[1]

وترى الباحثة أن الجمال هو أهم موضوعات الذوق أبدًا؛ ذلك لأنه لا يمكننا أن نتصور الحياة من دون صفة الجمال تلك الصفة التي تبعث فينا الأمل والبهجة، كما أنه يعمل على رقي وتقدم المجتمعات، فإذا تصورنا مجتمع لا يهتم بالجمال لا نتظر منه أن نرى أي تقدم، ومن ثم فإن الاهتمام بالجمال عامل على تقدم الحضارة ورقيها.

خامسًا- الخاتمة:

(١) يمكن القول إن الاتجاه الاستطيقيّ في فلسفة توماس ريد هو جزء أساسيّ لا ينفصل عن فلسفته، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تماسك فكره الفلسفيّ واتصافه بالوحدة، وذلك نهج كان متبعًا لدى الكثير من الفلاسفة أمثال شوبنهاور في اتجاهه الاستطيقيّ لم ينفصل عن اتجاهه الفلسفيّ في كتابه العالم تمثلاً وإرادة، وكذلك هيجل في اتجاهه المثاليّ وحديثه عن المطلق قد انعكس على اتجاهه الاستطيقيّ، وغيرهم وهذا يدل على اتصاف فكرهم الفلسفيّ بالوحدة.

(٢) قد ألقى توماس ريد الضوء على بعض المعاني التي يشوبها بعض الغموض، بسبب اتساعها مثل مصطلح الذوق، ومصطلح الجمال، والجدة، كما أنه ميز ببراعة بين موضوعات الذوق الثلاثة الجدة والعظمة والجمال، ووضح أفضلية كل منهم على الأخرى.

(٣) ويمكن القول: إن أهم صفة من الصفات الثلاث عند توماس ريد هي الجمال، والتي قد أفاض في شرحها، لأن الجمال هو صفة واسعة ونجده في ذلك يشبه الكثير من الفلاسفة.

---

[1] – Esther R. Kroeker: "Reid on Natural Signs, Taste and Moral Perception", From: Reid on Ethics, OP. Cit, PP. 54– 56.

أهم المصادر والمراجع المستخدمة في البحث:

١- جورج طرابيشيّ: معجم الفلاسفة (الفلاسفة- المناطقة- المتكلمون- اللاهوتيون- المتصوفون)، دار الطليعة للطباعة والنشر، طبعة ثالثة مفهرسة، بيروت، ٢٠٠٦.

٢- عبد الرحمن بدويّ: موسوعة الفلسفة، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٤.

٣- عبد المنعم الحفنيّ: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، ط٣، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٤- محمد علي أبو ريان: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٩م.

٥- محمود البسيوني: الفن والتربية "الأسس السيكلوجية لفهم الفن وأصول تدريسه"، دار المعارف، الطبعة الثالثة مزيدة، القاهرة، ١٩٨٤.

٦- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار الثقافة الجديدة، ط٣، القاهرة، ١٩٧٩م.

7- Audi, Robert: The Cambridge Dictionary of Philosophy, Second edition, Cambridge University Press, New York, 1999.

8- Gallie, Roger D.: Thomas Reid: Ethics, Aesthetics and the Anatomy of the Self, Published by: Kluwer Academic Publishers, Springer, 1998.

9- Herrmann, Douglas J. & Chaffin, Roger (editors): Memory in Historical Perspective, Springer- Verlag, New York, 1988.

10- Kelly, Michael: Encyclopedia of Aesthetics, Second edition, Vol.5, Oxford University Press, New York, 2014.

11- Kivy, Peter: Thomas Reid`s Lectures on the fine Arts "Transcribed from the Original Manuscript, with An Introduction and Notes", Martinus Nijhoff, the Hague, 1973.

12- Kroeker, Esther R.: "Reid on Natural Signs, Taste and Moral Perception", From: Reid on Ethics, edited by: Sabine Roeser, Palgrave Macmillan, New York, 2010.

13- Lehrer, Keith: Thomas Reid, Routledge, London & New York, 1991.

14- Reid, Thomas: Essays on the Powers of the Human Mind, Printed by: Thomas Davison & Whitefriars, London, 1827.

15-Reid, Thomas: Philosophical Works "With notes and Supplementary dissertations by Sir William Hamilton", Vol.1, With an Introduction by Harry M. Bracken, Georg Olms Verlag, Hildesheim. Zurich. New York, 1983.

16-Townsend, Dabney: The A to Z of Aesthetics, The Scarecrow Press, INC, Lanham. Toronto, Plymouth. UK, 2006.